ما هو الاستكبار على آيات اللّه

كتبه محمد الصغير السبت ٠٤ صفر ١٤٤٣

نواصل مع الآيات التي بدأنا تدبرها في المقال السابق, وتحديدا مع قوله تعالى:

﴿ وَأَن لا تَعلوا عَلَى اللَّهِ إِنّي آتيكُم بِسُلطانٍ مُبينٍ ﴾

الدخان: ١٩

ونطرح السؤال كيف يمكن للمرء أن يعلوا على الله العلي الكبير؟!

إذا رجعنا إلى هذه الآية واللاتي قبلها

﴿ وَلَقَد فَتَنّا قَبلَهُم قَومَ فِرعَونَ وَجاءَهُم رَسولٌ كَريمٌ۝أَن أَدّوا إِلَيَّ عِبادَ اللَّهِ إِنّي لَكُم رَسولٌ أَمينٌ ﴾

الدخان: ١٧-١٨

نجد أن موسى صلى الله عليه وسلم رسول كريم أمين, أتى برسالة واضحة صريحة, وعنده البراهين على صدق ما قال, بحيث لا يستطيع أحد تكذيبه نظرا لقوة حجته, التي تجعل المرء يستقين من صدقه :

﴿ فَلَمّا جاءَتهُم آياتُنا مُبصِرَةً قالوا هذا سِحرٌ مُبينٌ۝وَجَحَدوا بِها وَاستَيقَنَتها أَنفُسُهُم ظُلمًا وَعُلُوًّا فَانظُر كَيفَ كانَ عاقِبَةُ المُفسِدينَ ﴾

النمل: ١٣-١٤

ومن ثم صار من يكذبه مستكبر على آيات الله سبحانه, أي يحاول أن يعلوا على الله والعياذ بالله.

هذا المعنى ذكره ربنا صراحة في قوله:

﴿ إِنَّ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا وَاستَكبَروا عَنها لا تُفَتَّحُ لَهُم أَبوابُ السَّماءِ وَلا يَدخُلونَ الجَنَّةَ حَتّى يَلِجَ الجَمَلُ في سَمِّ الخِياطِ وَكَذلِكَ نَجزِي المُجرِمينَ۝لَهُم مِن جَهَنَّمَ مِهادٌ وَمِن فَوقِهِم غَواشٍ وَكَذلِكَ نَجزِي الظّالِمينَ ﴾

الأعراف: ٤٠-٤١

فقوله

كَذَّبوا بِآياتِنا

عطف عليها عطف بدل قوله

وَاستَكبَروا عَنها

فالتكذيب بآيات الله هو الاستكبار عنها، ولا يشترط في المستكبر أن يصرح بأن متكبر على آيات الله سبحانه.

فقوم موسى لم يصرحوا بأنهم متعالين على الله، وإنما كذبوا نبيهم.

أنواع الاستكبار على آيات الله

الاستكبار على آيات الله نوعين، وفي كليهما لا يصرح المستكبر أنه مستكبر على آيات الله وهما

الجحود

وهو أن يزعم المُكذب المستكبر أن الله تعالى لم يرسل هذا الرسول، أو لم يقل هذه الآية، ومثاله أغلب الأقوام المكذبين لرسلهم، قال ربنا عز وجل

< قَد نَعلَمُ إِنَّهُ لَيَحزُنُكَ الَّذي يَقولونَ فَإِنَّهُم لا يُكَذِّبونَكَ وَلكِنَّ الظّالِمينَ بِآياتِ اللَّهِ يَجحَدونَ <

الأنعام: ٣٣

وقال :

< فَلَمّا جاءَتهُم آياتُنا مُبصِرَةً قالوا هذا سِحرٌ مُبينٌ۝وَجَحَدوا بِها وَاستَيقَنَتها أَنفُسُهُم ظُلمًا وَعُلُوًّا فَانظُر كَيفَ كانَ عاقِبَةُ المُفسِدينَ <

النمل: ١٣-١٤

الإصرار على معصية لأمر الله

النوع الثاني من الاستكبار على آيات الله، هو أن يقر المرء بآيات الله، ولكنه قرر أن لن يطيعها ويعمل بها.

فقراره هذا تكذيب بآيات الله، واستكبار عنها، وقد دلت على ذلك عدة آيات منها قوله

< مَثَلُ الَّذينَ حُمِّلُوا التَّوراةَ ثُمَّ لَم يَحمِلوها كَمَثَلِ الحِمارِ يَحمِلُ أَسفارًا بِئسَ مَثَلُ القَومِ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِ اللَّهِ ۚ وَاللَّهُ لا يَهدِي القَومَ الظّالِمينَ >

الجمعة: ٥

فعدم حمل بني إسرائيل للتوراة عده الله تكذيباً لها، رغم إقرارهم بها، وقد فصلنا في ذلك في مقال معنى الإيمان بالقرآن والسنة

كذلك قصة إبليس الواردة في قوله تعالى:

< قالَ ما مَنَعَكَ أَلّا تَسجُدَ إِذ أَمَرتُكَ قالَ أَنا خَيرٌ مِنهُ خَلَقتَني مِن نارٍ وَخَلَقتَهُ مِن طينٍ ۝ قالَ فَاهبِط مِنها فَما يَكونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فيها فَاخرُج إِنَّكَ مِنَ الصّاغِرينَ >

الأعراف: ١٢-١٣

يتضح منها أن الله عز وجل اعتبر إصرار إبليس على معصية أمر الله له بالسجود لآدم تكبر منه، بالرغم من كون إبليس لم ينكر الأمر ولم يصرح بأنه مستكبر على أمر الله سبحانه.

إن المصر على معصية الله سبحانه لا يمكن أن يكون غير مستكبر على آيات الله، فهو لا عذر له مطلقا في أن يعصي الله ولا في أن يصر على معصية الله، لأنه ملك لله، هو من خلقه ورزقه وصوره وشق سمعه وبصره، فمهما كان أمر الله فإنه لا يسع العبد أن يعصيه فضلا أن يعصيه ويصر على معصيته، ولذلك تبرير إبليس لا قيمة له، ولا يمكن مطلقا تبرير معصية الله سبحانه وتعالى.